﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: 97 - 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

إلهامٌ منَ الله تعالى لنبيّه ﷺ لما يُعينه على دفع السّيّئة بالتي هي أحسن

في اتّصال هاتيْن الآيتيْن بما قبلهما وجهان؛ **الأوّل**: أنّ الله ﷻ لمّا أدَّب رسولَه ﷺ بقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: 96]؛ أتبعه بما يُقوّيه على الامتثال لهذا الهدي الإلهيّ، فأمره أن يلجأ إليه، وأرشده إلى الاستعاذة به، وخصَّص هذه الاستعاذة بأمريْن؛ الأوّل: أن يستعيذ به من وساوس الشّياطين، والآخَر: أن يستعيذ بالله من حضورهم لأيّ أمر من أموره، أو أيّ حالٍ من أحواله حتّى لا تحول الشَّياطينُ دونَ الدَّفْعِ بالَّتي هي أحْسَنُ؛ أي: التَّعَوُّذُ من تَحْريكِ الشَّيْطانِ داعيَةَ الغَضَبِ والانْتِقامِ في نَفْسِ النَّبي ﷺ، **والثّاني**: يَجوزُ أنْ تَكونَ جُملَةُ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ عَطْفًا على جُملَةِ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ﴾، بأنْ أمَرَهُ اللهُ بأنْ يَلْجَأ إلَيْهِ بطَلَبِ الوِقايَةِ من المُشْرِكينَ وأذاهم، فيَكونَ المُرادُ من الشَّياطينِ المُشْرِكينَ، فإنَّهم شَياطينُ الإنْسِ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112]، والمُرادُ بالآية: أعوذُ بِكَ من هَمَزاتِ القَوْمِ الظّالِمينَ، أوْ من هَمَزاتِ الشَّياطينِ منهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعُوذُ﴾: (عوذ) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على معنًى واحِدٍ؛ وهو الالتجاءُ إلى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أَوْ لازَمَهُ، والعَوَّذُ من اللّحم: ما عاذ بالعَظْم ولَزِمه، ومنَ الكَلَأ: ما لم يرتفع

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 16، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 118 - 119.

إلى الأغصان ومَنَعه الشّجرُ من أن يُرْعَى، وهو ما نبت في أصلِ هَدَفٍ أو شَجَرةٍ أو حجرٍ يستره، تَقولُ: أَعوذُ بِاللّه؛ أَيْ: أَلْجَأُ إِلَيْهِ، عَوْذًا أَوْ عياذًا، وفُلانٌ عياذٌ لَكَ؛ أَيْ: مَلْجَأٌ، والعوْذَةُ والمَعاذَةُ: الَّتي يُعَوَّذُ بِها الإِنْسانُ مِنْ فزَعٍ أَوْ جُنون، ومنه قيل للتّميمة والرّقية: عوذَةٌ، وعَوَّذَهُ: وقاه، وقَوْلُهُم: مَعاذَ اللّه، مَعْناهُ: أَعوذُ بِاللّه؛ فالمعنى المحوريّ: التصاقُ الشّيء الغَضِّ بصُلْبٍ يمنَعُ أو يعوقُ تناولَه، والمُراد بقوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:200]؛ أي: التَجِئْ إليه ولُذْ بجنابه القويّ، وحقيقته: اسألِ العَوْذَ؛ وهو الالتحاقُ والتّعلُّق بالشّيء ثقةً به[1].

2) ﴿هَمَزَٰتِ﴾: (همز) أصلٌ يدلُّ على ضَغْطٍ وعَصْرٍ، وهَمَزْتُ الشَّيْءَ في كَفّي، ومِنْهُ الهَمزُ في الكَلام، كَأَنَّهُ يَضْغَطُ الحَرْفَ، ويَقولونَ: هَمَزَ به الأَرْضَ، وقَوْسٌ هَمزَى: شَديدَةُ الدَّفْعِ لِلسَّهْم، والهَمّازُ: العَيّابُ بالغَيْبِ يَأْكُل لُحومَ النّاس، وقيل: الذي يَغْمِزُ بأَخيه في المَجْلِس، وكَذا الهُمَزَةُ، كأنّما ينخُسُهم بلسانه، والمعنى المحوريّ: دفعٌ بقوّةٍ ودِقّةٍ لما ينفذ في شيءٍ، كالسّهم عن القوس، ومنه قيل لما يَغور في ظاهر جزم الشّيء: مِهْمَز ومِهْماز، ومِنهُ مِهْمازُ الرّائِضِ لِحَديدَةٍ تُرْبَطُ على مُؤَخِّرِ رِجْلِهِ، يَنْخُسُ به الدّابَّةَ لِتُسْرِعَ أَوْ لِتَثِبَ، وإِطْلاقُ ذَلِكَ عَلى الوَسْوَسَةِ والحَثِّ عَلى المَعاصي لِما بَيْنَهُما من الشَّبَهِ الظّاهِرِ، وهَمزُ الشَّيْطانِ كالموتَةِ تَغْلِبُ على قَلْبِ الإِنْسانِ تَذْهَبُ به، والمُرادُ بـ ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: نزغاتُهم وما يوَسْوِسون به، أو خَطَراتها التي تُخْطِرُها بقَلْبِ الإنسان، أو تَصَرُّفاتهم بِتَحْريكِ القوى الَّتي في نَفْسِ الإِنْسانِ ليَنتصفَ لنفسه، أو لتَصْرِفَهُ عن وجهٍ من وجوه الخير، أو لِتُلْحِقَ به الأذى[2].

3) ﴿يَحْضُرُونِ﴾: (حضر) أصلٌ يدلُّ على إيراد الشَّيْءِ ووُرودِه ومُشاهَدَتِه، وقد يَجيءُ ما يَبْعُدُ عَنْ هَذا، وإِنْ كانَ الأَصْلُ واحِدًا؛ فالحَضَرُ خِلافُ البَدْوِ، والحَضارة والحِضارَة: السُّكنَى بالحضر، وأمّا قَوْلُ العَرَب: اللَّبَنُ مَحْضورٌ؛ فمَعْناهُ: كَثيرُ الآفَةِ، ويَقولونَ: الكُنُفُ مَحْضورَةٌ، وتَأَوَّلَ ناسٌ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾؛ والمعنى المُراد في الآية: أعوذ بك أَنَّ يُصيبوني بِسوءٍ، وذَلِكَ أَنَّهُم يَحْضُرونَهُ بِسوءٍ، وقال بعضهم: أو أَنْ يَحْضُرَني الجِنُّ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عوذ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، والسّمين الحلبيّ، عُمدة الحُفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (همز).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الاستعاذةُ من وساوسِ الشّياطين سبيلُ النّجاة في الدُّنيا والآخرة

يأمر الله تعالى نبيَّه بأن يلجأ إليه ويَعوذَ به من همزات الشّياطين أن يَحْضُروه في معالجة الدّعوة الخالصة لله تعالى، وتبليغِ الرّسالة الإلَهيّة إلى خَلْقه، وهو أمرٌ له ﷺ بأن يَتريّث، ويدعوَ بالحِكمة، كما أرشدَه ﷺ أن يلجأ إليه عائذًا لائذًا أن يَحْضُر الشّياطينُ أيَّ أمرٍ من أُموره، أو أيَّ حالٍ من أحواله الدّينيّة أو الدّنيويّة، والأمور الدّعويّة والعباديّة من بابٍ أولى؛ حتّى لا يخرجَ عن جادَّة الدّعوة بالتي هي أحسن، وإنّ هذا وما سبقه تحريضٌ للنّبيّ ﷺ بألطف عبارةٍ وأبلغِ إشارة، بأن يأخذ قومَه بالرّفق والأناةِ والمواتاة؛ حتّى لا يَنفِروا، وكذلك الشّأنُ في كلّ داعٍ لأمرٍ، أو لجديدٍ منَ الحَقّ لم يألفه النّاسُ، لا يغاضبُهم ولا ينافرُهم، بل يتألّفُهم، ويَقْرُبُ منهم، ولا يباعدُهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَقُل﴾:

دفعُ السّيّئة بالحسنة لا يمكن دونَ الاستعاذةِ بالله من كيد الشّياطين

الواو في قوله: ﴿وَقُل﴾ إمّا أن تكون عاطفةً أو للاستئناف والابتداء، فأمّا إن كانت عاطفةً - وهو الأظهر - فإنّها تدلُّ على أنّ دفعَ السّيّئة بالحسنة أمرٌ على جانب عظيم منَ الإرهاق للنّفس، وأنّه مَظِنّةُ حضورِ الشّياطين؛ ليُغروا الإنسانَ بالحَميّةِ والانتصارِ لنفسه، ومن ثَمَّ عُطِفَت الآيةُ في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ على الآية السّابقة؛ ليكونَ النّبيّ ﷺ على جَليَّةٍ من هذه الوساوس؛ فيدعو ربَّه أن يُعيذه منها، وفي ذلك إشارةٌ لرعاية الله تباركت آلاؤه لنبيّه ﷺ، وتَعَهُّدِه بالإرشاد والنُّصح؛ كي يُعينَه على أداء ما كَلّفَه به من أُمورِ الدّعوة إلى الله.

وأمّا إن كانتِ الواوُ في ﴿وَقُل﴾ للاستئناف والابتداء؛ فهي تُشير

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5116.

إلى ابتداء إرشاد الله لنبيّه لأحد سُبل النّجاة عامّة، وهو الالتجاء إلى الله أن يعصمَه من نزغات الشّياطين.

غرضُ التّعبير بالأمر ﴿وَقُل﴾:

ابتدأ النّظمُ الحكيم بعد الواو بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾ فأرشد اللهُ نبيَّه ﷺ لسبيل النّجاة من وساوس الشّياطين وهَمَزاتهم، وأمره بالالتجاء إلى الدّعاء، وصدّر هذا الإرشاد بفعل الأمر ﴿وَقُل﴾؛ وفي ذلك دلالةٌ على بالغ الرّعاية، وتمام الإرشاد، ومقام القُرْب من الله ﷻ، وفيه دلالةٌ - كذلك - على أنّ النّجاة من هذه الوساوسِ والهَمَزات الشّيطانيّة لا طاقةَ للإنسان بها وحْدَه دونَ صدقِ التّضرّع والالتجاءِ إلى الله، العليمِ بمَبْلغ أثرِها في نفوس عباده، كما يُستفاد من فعل الأمر ﴿وَقُل﴾ إعلانُ امتثالِ النّبيّ ﷺ لأمر ربّه بإيمانه بما أُرْسِل به، والتّأكيد على صِدق نُبوّته واستمراريّة عطاءِ الله له في كلّ حينٍ.

النّجاة من وساوس الشّيطان لا تكون إلّا بصِدق الالتجاء إلى الله

غرضُ التّعبير بالنّداء، ودلالةُ حَذْفِ حَرْف النّداء:

عبّر النّظمُ الحكيمُ بلَفْظ ﴿رَّبِّ﴾؛ وذلك لِما فيهِ مِنَ الإيذانِ بِأَنَّهُ سُبْحانَهُ المالِكُ النّاظِرُ في مَصالِحِ العَبْدِ، ففي هذا المقام كان من المناسب غايةَ المناسبة ذِكْرُ الله ﷻ بهذا الاسم الجليل؛ لما فيه من معاني الحماية والعطف والرّعاية والتّربية، وفي ذلك تأكيدٌ لمعونة النّبيّ ﷺ على أداء ما كُلِّفَ به من خُلُق راقٍ لا يمكن بلوغُه دونَ عصمةٍ من الله تعالى، وقد حُذِفت أداةُ النّداء (يا) للدّلالة على قُرْبه ﷺ من الرّحمة الإلَهيّة؛ فحَذْفُ الأداةِ دليلٌ على قُرْب إجابةِ الله تعالى له في هذا اللّجوء وتلك الاستعاذة، كما تضمّن ذِكْر ﴿رَّبِّ﴾ إشعارًا بخالص عبوديّته ﷺ لله ربّ العالَمين، وتقريعًا لأولئك المُعانِدين المُكَذّبين من شياطين الجنّ والإنس.

الرّبُّ ﷻ هو الملجأُ والملاذُ لكلّ مؤمنٍ

دلالة التّعبير بالمضارع:

آثَرَ النّظمُ الجليلُ استعمالَ الفعلِ المضارع في قوله تعالى:

﴿أَعُوذُ﴾؛ للدّلالة على التّجدُّد والاستمرار، وفي ذلك دلالةٌ على إرشاد الله ﷻ لنبيّه ﷺ أن يستعيذ به في كلّ أوقاته، وعامّةِ أحوالِه، فليستِ الاستعاذةُ مقصورةً على الاستعانة به لدفع السّيّئة بالحسنة فحسب، بل في استعمال المضارع إشارةٌ لكون الاستعاذة مطلوبةً في كلّ حال من أحواله، وهو كذلك تلقينٌ للمسلمين جميعًا أن يستعيذوا بالله على الدّوام من هَمَزات الشّياطين في كلّ أحوالهم، فمَعْلومٌ أنَّ مَن يَنْقَطِعُ إلى الله تَعالى ويَسْأَلُهُ أنْ يُعيذَهُ مِنَ الشَّيْطانِ، فإنَّهُ يَجِبُ أنْ يَكونَ مُتَذَكِّرًا مُتَيَقِّظًا فيما يَأْتي ويَذَرُ، فيَكون نَفْسُ هذا الانْقِطاعِ إلى الله تَعالى داعيَةً إلى التَّمَسُّكِ بالطّاعَةِ وزاجِرًا عَنِ المَعْصيَةِ[1]، فعن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الشَّيْطانِ؛ مِنْ هَمزِهِ ونَفْثِهِ ونَفْخِهِ، قالَ: وهَمزُهُ المَوْتَةُ، ونَفْثُهُ الشِّعْرُ، ونَفْخُهُ الكِبْرياءُ»[2].

استمراريّةُ الاستعاذةِ وتجدُّدُها من سبل حفظِ الله لنبيّه ﷺ

معنى حرف الجَرّ ﴿بِكَ﴾:

أفادتِ الباءُ في قوله: ﴿بِكَ﴾ معنى الاستعانة؛ أيْ: صِدقَ الالتجاءِ إلى الله تعالى، فلا نجاةَ من حبائل الشّيطان إلّا بمعونة الله وقُدرته، كما أنّه لا استعانةَ دونَ الالتصاق بجَناب الرّحمة الإلَهيّة واستشعارها في كلِّ قولٍ وفعلٍ.

الاستعاذةُ من الشيطان إنّما تكون بالاستعانة بالله وحدَه

دلالةُ التّعبيرِ بضمير الخطاب ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾:

جاء التّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾، بضمير الخطاب (الكاف)، والمُراد اللهُ ﷻ، وقد آثَرَ النّظمُ الحكيم الكافَ هاهنا للدّلالة على القُرْب من المَعيّة الإلهيّة، وعدَلَ عن قول: (أعوذُ بعظمتك)؛ وذلك لأنّ ذِكْر كلمةِ ﴿رَّبِّ﴾ قد تضمَّنت - من بين ما تضمَّنت - معانيَ العَظَمة؛ فناسبَ السّياقَ التّعبيرُ بالكاف؛ للدّلالة على القُرْب.

استعمالُ ضميرِ الخطاب دليلٌ على القُرْب والمَعيّة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 117.

(2) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن مسعود، برقم: (3905).

معنى حرف الجرّ ﴿مِنْ﴾ ودلالتُه:

وسوسةُ الشّياطين من أسباب المعاصي والبُعد عن منهج الله

أفادت ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ معنى التّعليل[1]؛ فالالتجاء إلى الله، واللّياذُ بِعَظَمته إنّما هو احتماءٌ من أَثَر الوساوسِ الخَبيثة التي تَبُثّها الشّياطينُ في النّفوس، وما تُسَبِّبُه من بُعْدٍ عن منهج الله ﷻ، ولمّا كان دَفْعُ السّيّئةِ بالحسنة مَظِنّة وساوسِ الشّياطين وهَمَزاتِهم؛ جاءت ﴿مِنْ﴾ مُعَلِّلةً لسبب الاستعاذة منهم.

سِرّ الإضافة ودلالةُ الجمعِ في ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾:

كثرةُ الشّياطين وكثرةُ هَمَزاتِهم من دواعي المُداومةِ على الاستعاذة

عبّر النّظمُ الحكيم عن أَثَر الشّياطين في النّفوس بصيغة الجمع: ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ وذلك بسبب تَعَدُّد المَرّات التي يوَسوسون فيها للإنسان، أوْ لِتَنَوُّعِ الوَساوِسِ في كلّ مجالٍ من مجالات الحياة الدُّنيويّة أو الأُخرويّة، أوْ لِتَعَدُّدِ الشَّياطينَ وكثرتهم، حتّى إنّ منهم لفريقًا يختصُّ بعملٍ مُعَيّن؛ كشيطان الصّلاة وغيرها؛ ففي التّعبير بالجمع تنبيهٌ على وجوب المداومة على الاستعاذة من كثرة الهَمَزات الشّيطانيّة، وقد أُضيفت الهمزاتُ للشّياطين تشبيهًا لأثرها بما يُحْدِثه النّخْسُ بالمِهْماز في الدّابّة لِتَثِبَ، فيَثِبُ الإنسانُ من حالة الإيمان والهدوء والدّعة إلى حالةٍ منَ المعصية والغضب والانتقام لنفسه.

دلالةُ العطف بالواو في ﴿وَأَعُوذُ بِكَ﴾:

المبالغة في التّعوُّذ من حضور الشّياطين من الهَدْي الرّبانيّ

ربط النّظمُ الحكيم بينَ الآية السّابقة وهذه الآية بواو العطف؛ للدّلالة على أمرٍ مُغايرٍ للأمر الأوّل، وهو التّعوّذ من حضور الشّياطين، فلا يكفي التّعوّذ من الهَمز وحْدَه؛ بل لا بُدّ كذلك من التّعوّذ من حضورهم؛ فقد أُمِرَ ﷺ بأنْ يَعوذَ به تَعالى من حُضورِهم، بعد ما أُمِرَ بالعَوْذِ من هَمَزاتِهم؛ لِلْمُبالَغَةِ في التَّحْذيرِ من مُلابَسَتِهم، وإعادَةُ الفِعْلِ مع تَكْريرِ النِّداءِ؛ لإظْهارِ كَمالِ الاعْتِناءِ بِالمَأْمورِ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 1/ 9.

به، وعَرْض نِهايَةِ الِابْتِهالِ في الِاسْتِدْعاءِ، أيْ: أعوذُ بِكَ من أنْ يَحْضُروني ويَحوموا حَوْلي في حالٍ من الأحْوالِ[1]، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِنَ الإنْسانِ مَجْرَى الدَّمِ»[2]؛ فذلك دليلٌ على حضور أَثَرِ الشّيطان في نفس الإنسان على الدّوام، لذا كان من دِقّة القرآن الكريم أن نستعين بالله في التّخلُّص من هذا الحضورِ الذي قد يَغْفُل الإنسانُ عن أثره، فيُزيّن له المعاصيَ والشّهوات، وفي الأمرِ بِالتَّعَوُّذِ من الحُضورِ بعد الأمرِ بِالتَّعَوُّذِ من هَمَزاتِهِم مُبالَغَةٌ في التَّحْذيرِ من مُلابَسَتِهِم، وإعادَةُ الفِعْلِ مع تَكْريرِ النِّداءِ لِإظْهارِ كَمالِ الِاعْتِناءِ بِالمَأْمورِ به، وعرض نِهايَةِ الِابْتِهالِ في الِاسْتِدْعاءِ[3].

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿أَعُوذُ﴾:

استمراريّةُ الاستعاذةِ وتجدُّدُها من سُبُل حفظ الله لنبيِّه ﷺ

كرَّر النَّظْمُ الجليلُ في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ﴾ فعلَ الاستعاذة باستعمال الفعل المضارع مرّةً أخرى، وهو يدلُّ على التّجدُّد والاستمرار، وفي ذلك دلالةٌ على إرشاد الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يستعيذ به في كلِّ أوقاته وعامَّة أحواله؛ فليست الاستعاذة مقصورةً على الاستعاذة من همزات الشياطين؛ بل هي كذلك مطلوبةٌ في الاستعاذة من حضورهم، وهو كذلك تلقينٌ للمسلمين جميعًا أن يستعيذوا بالله على الدَّوام من همزات الشياطين في كل أحوالهم[4].

غرضُ التّعبير بالنّداءِ المحذوفِ الأداة:

قربُ اللهِ من عباده المُخلَصين يقتضي منهم التّعظيمَ وإخلاصَ العبوديّة

حُذِفت أداةُ النّداء (يا) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَعُوذُ﴾؛ للدّلالة على قُرْبه ﷻ من الرّحمة الإلَهيّة، فحَذْفُ الأداةِ دليلٌ على قُرْب إجابةِ اللهِ تعالى له في هذا اللّجوء وتلك الاستعاذة، فمنَ المعلوم أنّ حذفَ أداةِ النّداء قد يكون لقُرْب المُنادَى من المنادي، سواءٌ كان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 150.
(2) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (2077).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 150، والآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 137.
(4) أخرجه التّرمذيّ في سننه، برقم: (3872)، وينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 117.

القُرْبُ حقيقيًّا ماديًّا أم معنويًّا، فكأنّ المُنادَى لقُرْبه لا يحتاج إلى واسطة لنِدائه، نحو قولِه تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: 73]، فهذا للقُرْب المعنويّ، بخلاف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: 65][1]، وفي حَذْفِ حرف النّداء تعظيمٌ للمنادَى وتنزيهٌ له، قال مَكّي: "ونِداء الرّبِّ قد كَثُر حَذْفُ (يا) منه في القرآن، وعِلّةُ ذلك أنّ في حذف (يا) من نِداء الرّبّ معنى التّعظيم والتّنزيه، وذلك أنَّ النّداءَ فيه طَرَفٌ من معنى الأمر؛ لأنّك إذا قلتَ: يا زيد؛ فمعناه: تعالَ يا زيد، أدعوكَ يا زيد، فحُذِفت (يا) من نداء الرّبّ ليَزولَ معنى الأمر وينقص؛ لأنَّ (يا) تُؤَكِّده وتُظهر معناه؛ فكان في حذف (يا) الإجلالُ والتّعظيم والتّنزيه[2]، وأمّا ذِكْرُ لفظ ﴿رَبِّ﴾ ففيه إشعارٌ بخالص عبوديّته ﷺ لله ربِّ العالَمين، وتقريعٌ لأولئك المُعانِدين المُكذِّبين من شياطين الجِنِّ والإنس.

دلالةُ حَذْفِ حرفِ الجَرّ:

قُـرْبُ اللـهِ ﷻ من عباده حالَ الدّعاء والتّضرّع

آثَرَ النّظمُ الحكيمُ حَذْفَ حَرْفِ الجَرّ (من) من المصدر المُؤوّل ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾؛ للدّلالة على قُرْب الله ﷻ من عباده حالَ الدّعاء والتّضرّع، إذ يَطّرِدُ حَذْفُ حرفِ الجَرّ مع (أنّ) و(أن) إذا أُمِنَ اللّبْسُ، والحذفُ البلاغيّ من دقيق أساليب القرآن الكريم، وقد حَسُنَ الحَذْفُ في السّياق لمقام الدّعاء والتّضرّع الذي يقتضي الإيجازَ، فليس المقامُ مقامَ بسطٍ وإسهاب، وكذلك للدّلالة على القُرْب والمَعيَّة.

دلالةُ التّعبير بالمصدر المُؤوّل ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾:

تَـجـدّدُ حضورِ الـشّـيـاطـين واستـمـراريّـتُـه يقتضي المُداومةَ على الاستعاذة

آثَرَ النّظمُ الحكيم استعمالَ الفعل المضارع ﴿يَحْضُرُونِ﴾ مسبوقًا بـ﴿أَن﴾ المصدريّة؛ للدّلالة على كثرة حضور الشّياطين، وكثرةِ هَمَزاتهم ووساوِسهم؛ فجاء استعمالُ النّظم البليغ لـ﴿أَن﴾

(1) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 4/ 325.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 5/ 286.

المصدريّة مع الفعل المضارع ليَدُلّ على التّجدّد والحدوث[1]؛ وهو ما يُرشد إلى أهميّة المداومة على الاستعاذة في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ دفعًا لحضور الشّياطين الذين لا يحضرون إلّا بالأذى وتزيين الباطل.

دلالة إسناد الفعل المضارع لواو الجماعة:

كـثرةُ الشّياطين وكـــــثرةُ وسـاوسِـهـم تـقـتـضي كـثرةَ الاستعاذة

عبّرَ النّظمُ الحكيمُ بالفعل المضارع ﴿يَحْضُرُونِ﴾ مُسنَدًا إلى واو الجماعة؛ للدّلالة على كثرة الشّياطين الذين يحضرون المسلمَ بوساوسهم؛ لإفساد عبادته خاصّةً وحياتِه عامّةً، ولكنّ هذه الكثرة لن تُغنيَ عنهم من الله شيئًا، فهو سبحانه أعلم بهم فُرادى أو مُجتمعين، وفي الاستعاذة به سبحانه ما يدفع أثَرَ هذه الوساوس، وإن كَثُرت وتعدَّدت، وقد ورد في الأثر ما يُفيد أنّ التّعوّذ هنا من حضورهم حالَ الصّلاة وقراءةِ القرآن، وعند النّوم، وعند الموت، وتَخْصيصُ هذه الأحوالِ لأنَّها أحْرى الأحْوالِ بِالاسْتِعاذَةِ مِنها، لا سيَّما الحالُ الأخيرَةُ[2]، وذهب بعضُ العلماء إلى القول بعموم الاستعاذة، وهو الأليَق بالمقام.

غرضُ حذف مُتعلّق الفعل:

إفـــادةُ عـمـومِ عِـلْـمِ الـلـه ﷻ بكلّ أوصافِهم

حُذِفَ مفعولُ الفعل ﴿يَحْضُرُونِ﴾، إذِ الأصلُ: (يحضروني)، وذلك للعِلْم به من خلال سياق الآية، والمقصود به النّبيّ ﷺ أصلًا، وأُمَّتُه مُرادةٌ تبعًا له، وهو منَ الحذف البلاغي في القرآن الكريم، قال ابن الشّجريّ: "وحَذْفُ المفعولِ يَكثر للعِلْم به، وذلك لاقتضاء الفعل له، كقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: 3]؛ أراد: وما قلاكَ"[3]، كما أنّ في حذف المفعول مزيدَ عنايةٍ بتَحَقّق الاستعاذةِ وثُبوتِها؛ للاهتمام بالفعل وهو الاستعاذة، والفاعل وهو دفعُ أذى الشّياطين في المقام الأوّل.

(1) السّهيليّ، نتائج الفكر، ص: 97.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 18/ 137.
(3) ابن الشّجريّ، الأماليّ: 2/ 67.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»